د. ابراهيم زلافي - جامعة المسيلة - الجزائر
brahimzelafi@yahoo.fr

ملامح المنهج البنيوي في كتابات كمال أبو ديب

Features of the structural approach in the writings of Kamal Abu Deeb

Date de réception / تاريخ الاستقبال	Date d'acceptation /تاريخ القبول
05.03.2019	13.03.2019

ملخص

من خلال هذه المقالة أحاول الوقوف عند بعض المفاهيم الأساسية الخاصة التي تؤسس للمنهج البنيوي وتحليل الخطاب الأدبي تنظيراً وتطبيقاً، وهذا بتقديم بعض الأسماء الغربية البارزة في النقد الأدبي ونظرياتهم ومؤلفاتهم في هذا المجال، ثم كيف وفدت هذه المفاهيم إلى الأدب العربي وتأثيرها في النقد الأدبي العربي وتلقف النقاد العرب لها وكتاباتهم حولها وتطبيقاتهم لها على الأدب العربي، وهذا من خلال كتابات الناقد السوري كمال أبو ديب حول المنهج البنيوي تنظيراً وتطبيقاً من خلال تحليله لنصوص شعرية مألوفة لدى القارئ العربي، مما يتيح للقارئ الفرصة على استيعاب مكونات ودلالات المنهج البنيوي.

الكلمات المفتاحية

المنهج، البنيوية، البنية، مناهج النقد، تحليل الخطاب.

Abstract

Through this article, I try to elucidate some particular basic concepts that ground the structural approach and analyze literary discourse theoretically and practically. This, by presenting some famous Westerners in literary criticism and their theories and their works in this field. Then how did these concepts come to Arab literature and its influence on Arab literary criticism? The criticisms of Arabs and their writings around them and their applications to Arabic literature, and this through the writings of Syrian

critic Kamal Abu Deeb on the structural approach in theory and its application through his analysis of poetry texts familiar to the reader Arab, thus allowing it to absorb the components and implications of the structural approach.

key words

Methodology, structuralism, structure, critical methods, speech analysis.

تنوعت أساليب تحليل الخطاب الأدبي بتنوع المناهج النقدية، وتطورت وتغيرت بتطور الإبداعات الأدبية وتعدد أجناسها وأنواعها، وأساليب دراساتها وتحليلها وقراءاتها، وهكذا شاعت عدة مناهج تدعى بالمناهج السياقية أولا، ثم المناهج النصية ثانياَ، وسطع نجم منهج يصطلح عليه بالبنيوية فجأة ثم أفل وانبجس فجر مناهج أخرى من رحمه كالأسلوبية والسيميائية والتفكيكية وغيرها من المناهج.

فما معنى البنيوية؟ ومتى وكيف نشأت ومما أفادت؟

البنيوية منهج تحليلي، يعتبر النص بنية مغلقة مكونة من متوالية من الجمل يجب دراسة أبنيته من الداخل، والكشف عن العلاقات بينها، وكيفية أدائها لوظائفها الجمالية، تهتم البنيوية بالبنيات اللغوية والفنية والرمزية للنص، وتبحث عن القوانين الداخلية التي تحكمه. ووفقا لذلك تدعو إلى دراسته بعيدا عن محيطه من حيث المستويات التالية:

-المستوى الصوتي: يدرس الحروف ورمزيتها وتكويناتها الموسيقية من نبر وتنغيم وإيقاع.

- المستوى الصرفي: يدرس الوحدات الصرفية ووظيفتها في التركيب اللغوي.

- المستوى المعجمي: يدرس الخصائص الحسية والتجريدية للكلمات.

- المستوى النحوي: يدرس تأليف وتراكيب الجمل وخصائصها الدلالية.

- المستوى الدلالي: يحلل المعاني بالاستفادة من علم النفس وعلم الاجتماع.

- المستوى التداولي (القولي): يدرس تراكيب الجمل الكبرى وخصائصها.

- المستوى الرمزي: الكشف عن الأبعاد الدلالية والرمزية للغة أو التأويل(01).

تعود نشأة البنيوية إلى القرن العشرين بظهور عدة مدارس شكلت الروافد الأساسية للبنيوية فكانت مدرسة جنيف الرائدة الرافد الأول، التي ظهرت في العقد الأول من القرن العشرين، ومؤسسها دو سوسير Ferdinand De Saussure الذي ساهمت أفكاره التي حملتها محاضراته الشفوية للطلاب في جنيف في خلق تيار فكري بنيوي. نشرت أعماله بعد وفاته من طرف طلابه عام 1916 في كتاب "دروس في علم اللغة العام" Cours de linguistique générale، وتعد هذه المدرسة الحجر الأساس في بناء المنهج البنيوي(02).

كما تعود نشأة البنيوية إلى المدرسة الشكلية الروسية، وهي مدرسة نقدية ظهرت في روسيا بين عامي 1915 و1930، دعت إلى دراسة النصوص الأدبية بعيدا عن محيطها الاجتماعي والتاريخي والنفسي التي تبلورت أفكارها في العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين، فكانت حلقة موسكو اللغوية التي أسسها طلاب الدراسات العليا عام 1915 الخطوة الأولى نحو تشكل الشكلية الروسية، ثم انضم إليها مجموعة من النقاد وعلماء اللغة فألفوا جمعية دراسة اللغة الشعرية التي عرفت باسم (أوبایاز) Opojaz ومن هتين الحركتين تشكلت الشكلية الروسية(03). وقد دعت إلى قراءة النص من الداخل بعيدا عن المجتمع والتاريخ والفلسفة.

تعد حركة براغ اللغوية كذلك رافدا آخر من روافد البنيوية، فقد تشكلت من مجموعة من الباحثين من علماء اللغة من بلدان مختلفة. واجتمعوا حول جملة من المبادئ سميت بالنصوص الأساسية لحلقة براغ اللغوية. تقدموا بها إلى المؤتمر الدولي الأول لعلماء اللغة الذي عقد في لاهاي عام 1928. وفي العام التالي قدّموا الجزء الأول من دراستهم الجماعية بعنوان (الأعمال Travaux) التي ظلت تصدر تباعاً حتى عام 1938 حيث صدرت منها ثمانية أجزاء. وفي عام 1930 ظهرت أول دراسة منهجية في تاريخ الأصوات اللغوية من إعداد ياكوبسون Roman Jakobson. وعقد في براغ مؤتمر للصوتيات، ثم تأكدت الحركة الصوتية على المستوى الدولي بمجموعة من المؤتمرات اللاحقة وتبلورت في ثمانية أجزاء عن أعمال حلقة براغ ضلت تنشر تباعاً حتى عام 1938 (04).

كما استمدت البنيوية وجودها من النقد الجديد الذي ظهر في أمريكا في فترة الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين، وارتبطت به من خلال شعاراته التي رفعها والتي كانت توازي تلك النتائج التي توصلت إليها المدرس السابقة.ينظر النقد الجديد إلى الشعر على أنه نوع من الرياضيات الفنية، ويعنى بالشكل على حساب المضمون، ويرى نقاده أنه لا هدف للشعر سوى الشعر نفسه(05).

وأهم منظريها:

-رومان ياكوبسون(1896-1982) Jakobson Roman العالم اللغوي الروسي صاحب كتاب "نظرية الأدب" Théorie de la Littérature، صدر عام 1965 بباريس.

- فرديناند دو سوسير (1857-1913) Ferdinand De Saussure عالم اللغة السويسري من خلال كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة" Cours de linguistique générale الصادر عام 1916 بباريس.

- لويس هيلمسلاف (1899-1965) Louis Hjelmslev اللساني الدانمركي صاحب كتاب "حول مبادئ نظرية اللغة" Prolégomènes à une théorie du langage الذي صدر عام 1943، وترجم إلى اللغة الفرنسية عام 1968.

-كلود ليفي ستراوس (1908-2009) Claude Lévi-Strauss عالم الاجتماع الفرنسي، صاحب كتاب "الأنثروبولوجيا البنيوية" Anthropologie structurale، صدر الجزء الأول للكتاب عام 1959، ثم صدر الجزء الثاني عام 1973.

اكتسحت البنيوية الساحة النقدية الأدبية كردة فعل ضد الرومانسية والمناهج التي تربط الأدب بمحيطه الاجتماعي، وهذا بظهور مصطلح البنيوية في أعمال كلود ليفي شتراوس، وترجمة تودوروف لأعمال الشكلانيين الروس إلى اللغة الفرنسية في كتاب عنوانه نظرية الأدب، نصوص الشكلانيين الروس 1965. وظهور أعمال مفكرين آخرين أمثال ميشال فوكو وجاك لاكان وغيرهم(06).

ساهم احتكاك العرب بالغرب عن طريق البعثات العلمية أو نتيجة لعمليات الترجمة التي ازدهرت في تلك الفترة، قيام النقاد العرب بترجمة عدة مؤلفات لأسماء بارزة من المنظرين لهذه المناهج منها:

- كتاب البنيوية لجون ماري أوزياس Jean-Marie Auzias وآخرون ترجمه إلى العربية ميخائيل إبراهيم مخول عام 1972.

- كتاب الأسلوبية البنيوية للناقد الأمريكي ميشيل ريفاتير Michel Riffaterre عام 1971، وكتاب صناعة النص عام 1979.

- كتاب النقد الأدبي والعلوم الإنسانية للناقد جان لوي كابانسن Cabanes Jean-Louis ترجمه إلى العربية فهد عكام عام 1982.

- كتاب البنيوية في الأدب للناقد الأمريكي المعاصر روبرت شولز ترجمه إلى العربية حنا عبود عام 1984م.ثم السيميائية والتأويل ترجمه سعيد الغانمي عام 1994.، وسلطة النص عام 1985.

- كتاب عصر البنيوية من شتراوس إلى فوكو للناقدة الأمريكية إديث كيرزويل ترجمه جابر عصفور عام 1985.

ساهم بعض النقاد العرب في التأسيس للمنهج البنيوي، منهم: حسين الواد-عبد السلام المسدي-عبد الفتاح كليطو- محمد بنيس- محمد مفتاح-عبد الله الغذامي-صلاح فضل وغيرهم. وبتعدد المناهج تعددت جهود النقاد العرب وطرقهم في قراءة الخطاب الأدبي

وتحليله حسب استقائهم وفهمهم لهذه النظريات الوافدة من الغرب فألفوا عدة مؤلفات في البنيوية منها:

- كتاب "مشكلة البنية" لزكريا إبراهيم الذي صدر عام 1976.
- كتاب "نظرية البنائية في النقد الأدبي" لصلاح فضل صدر عام 1977.
- كتاب "جدلية الخفاء والتجلي: دراسة بنيوية في الشعر" لكمال أبو ديب، الناقد السوري الذي يعد من رواد المنهج البنيوي في الوطن العربي، صدرت الطبعة الأولى عام 1979م، أسس فيه للمنهج البنيوي تنظيراً وتطبيقاً، يقدر حجم الكتاب 312صفحة، وهو مقسم إلى ستة فصول، والطبعة التي بين أيدينا هي الطبعة الثالثة التي طبعت عام 1984.كما ألف كتاباً آخر بعنوان "الرؤى المقنعة: نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي" صدر عام 1987م، خصصه للجانب التطبيقي، حجمه يقدر 707 صفحة من القطع الصغير 17×24، وهو بحث في دراسة الشعر الجاهلي في ضوء الأنثروبولوجيا واللسانيات والسيميائيات والنقد الأدبي ونظرية الأدب وعلم الاجتماع ودراسة التأليف الشفهي للشعر وبنية الحكاية. فقد أتاح أبوديب لنفسه الإفادة من التعددية التي تتصف بها البنيوية، ولذلك تصبح قراءته للشعر الجاهلي تتحرك ضمن معطيات واسعة(07).

تناول كمال أبو ديب في مقدمة كتابه الأول عدة قضايا من بينها(08):

- البنيوية: حيث يرى بأنها ليست فلسفة بل منهج أو رؤية لا تغير في اللغة أو المجتمع أو الشعر، وإنما تغير الفكر المعاين للغة والمجتمع والشعر وتحوله إلى فكر متقص متسائل.
- الهدف من تأليفه لهذا الكتاب: يكمن في سعيه إلى تغيير الفكر العربي في معاينته للثقافة والإنسان والشعر، وجعله فكراً بنيوياً يتخطى الجزئية والسطحية إلى تحديد المكونات الأساسية للظواهر في الثقافة والمجتمع والشعر. ثم إلى اقتناص شبكة العلاقات التي تشع منها وإليها، ثم البحث عن التحولات الجوهرية للبنية التي تنشأ عبرها تجسيدات جديدة لا يمكن أن تفهم إلا عن طريق ربطها بالبنية الأساسية وإعادتها إليها، من خلال وعي حاد لنمطي البنى: السطحية والعميقة.
- بنية القصيدة: التي لا تختلف عنده عن بنية مشروع اقتصادي أو فكري، ذلك أن ما يُؤَسَّسُ هنا هو منهج في الاكتناه يرى البنية بما هي آلية للدلالة وديناميكية لتجسيد الدلالة في سلسلة من المكونات الجذرية والعمليات المتصلة، وفي شبكة من التفاعلات التي تتكامل لتحول اللغة إلى بنية معقدة تجسد البنية الدلالية تجسيداً مطلقاً في اكتماله. وفي هذا التجسيد للرؤيا الشعرية ينبع وجود كل عنصر ومعناه وخصائصه من طبيعة العلاقات التي

فرضت اختياره، والتي تشده إلى العناصر الأخرى، ثم من فاعليته في هذه العناصر، وتختفي تحت هذه التفاعلية جدلية عميقة هي التي تؤسس المعنى.

نختار من هذا الكتاب الفصل الخامس الذي عنوانه:

دراسة بنيوية في شعر أبي نواس من خلال قصيدته صبوح التي مطلعها:

يا ابنة الشيخ أصبحينا ما الذي تنتظرينا

يؤكد كمال أبو ديب على خاصية أساسية في المنهج البنيوي وهي بأن الظواهر لا تعني وهي معزولة وإنما تعني القصيدة عبر العلاقات التي تنشأ بين هذه الظواهر. ترتكز القصيدة على مكونين أساسيين هما: الخمرة والأطلال وكل منهما يشكل حركة من حركات القصيدة، ومن تفاعل الحركتين تتشكل حزم من العلاقات تحدد بنية القصيدة ودلالاتها من جهة وعلاقاتها بين القصائد الأخرى في الديوان(09).

يرى بأن القصيدة تنقسم أفقيا إلى شريحتين تشكلان ثنائية ضدية تتمثل في: الخمرة/الأطلال، تتألف حركة الخمرة من ستة أبيات (أربعون وحدة لغوية: كلمات +حروف)، بينما حركة الأطلال من ثلاثة أبيات. تمثل الأطلال عالم الجدب والجفاف والصمت بينما الخمرة عالم الرواء والاخضرار والحركة والحيوية. وأن العلاقة بين طرفي الثنائية الضدية (الخمرة/الأطلال) علاقة سلبية، الخمرة تشغل الشريحة الأولى من القصيدة، وحركتها تشغل حيزاً كبيرا، بينما الأطلال تشغل الشريحة الثانية من القصيدة وحركتها تحتل حيزا صغيراً. محاولا بذلك إظهار مركزية الخمرة على حساب هامشية الأطلال.

لم يقف تحليل كمال أبو ديب للقصيدة عند مستواها الأفقي بل تعداه إلى المستوى الشاقولي، حيث يكشف عن وجود انقسام مماثل على المستوى الشاقولي في القصيدة يضع الشاعر في مواجهة الآخر فتتشكل ثنائية ضدية تتمثل في: الأنا / الآخر، يرفض فيها الطرف الأول الطرف الثاني. فالشاعر في رأي الكاتب يقلب نظام الكون التراثي ويعيد تركيب مكوناته في صورة جديدة وضمن شبكة جديدة من العلاقات تحتل فيها الخمرة المركز الأول بدلا من الأطلال، والقصيدة تجسد رفض الشاعر للتراث والدين، ويتجسد ذلك في بنية متشابكة العلاقات يحكمها انقسامان يتقاطعان في مركز الدائرة(10). ويحاول كمال أبو ديب أن يجسد هذه الفرضيات والنتائج التي توصل إليها في تحليله البنيوي للقصيدة من خلال المخطط1، والذي هو عبارة عن دائرة مقسمة إلى أربعة أجزاء من خلال تقاطع القطرين.

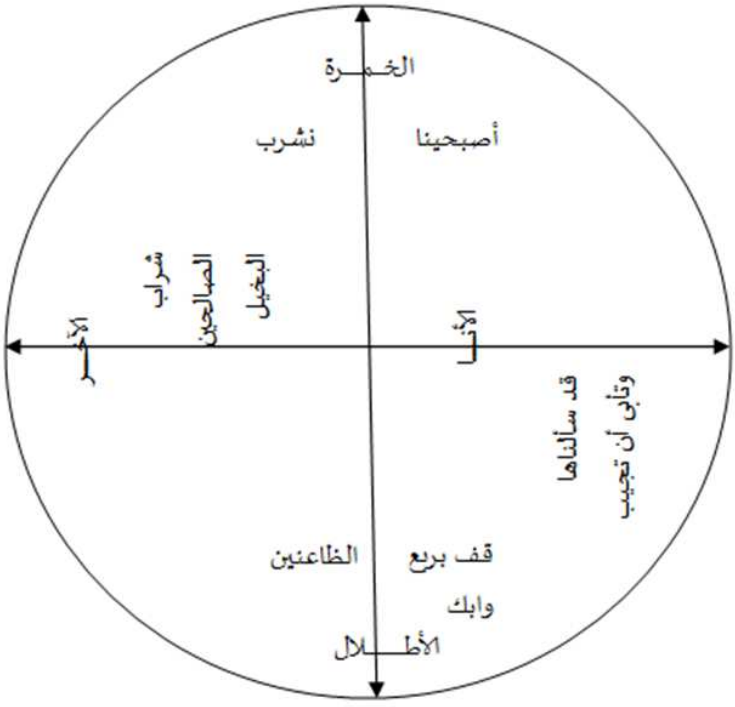

المخطط1

يرى كمال أبوديب أن عدد الأفعال في الحركتين يشكلان ثنائية ضدية طرفاها التشابك/التراكم أو التوزع /التمركز، ففي الحركة الأولى تتباين مواقع أفعال الأمر وتختلف علاقة كل منها بالأفعال الأخرى. أما في الحركة الثانية فتتمركز أفعال الأمر في خط أفقي وتترابط بعلاقة واحدة تراكمية، هي العطف. ويشير أبوديب إلى أن أفعال الأمر في الحركتين تشكل ثنائية ضدية أخرى على صعيد المؤنث/المذكر- المرأة/الواقف على الأطلال- وعلى صعيد علاقة فاعل كل فعل بمفعوله (أصبحينا/ابك. تجسد صيغ الأفعال في كل حركة الموقفين المتناقضين بين الخمرة والأطلال، ففي الحركة الأولى الأفعال حركية تجسد مبادرات فردية فاعلة: أصبحينا/ أجري/ اعلمي /اصرفيها...أما في الحركة الثانية فالأفعال انفعالية سلبية تخلو من الفاعلية الفردية: قف/ ابك /اسأل(11).

يطرح الناقد وجود تمايز آخر على مستوى البنية اللغوية والعلاقات التركيبية في الحركتين، فالحركة الأولى تبدأ بصيغة النداء (منادى مضاف) يتلوها فعل أمر مفعوله ضمير المتكلم (أنا)، ثم جملة استفهامية. بينما تبدأ الحركة الثانية بسلسلة من أفعال الأمر (قف،

ابك، اسأل) فعل أمر يتلوه آخر معطوف عليه، يجسد كمال أبوديب خصائص كل سلسلة من الأفعال في المخطط 2، حيث تشير الأرقام في هذا التمثيل إلى الأبيات التي ترد فيها أفعال الأمر.

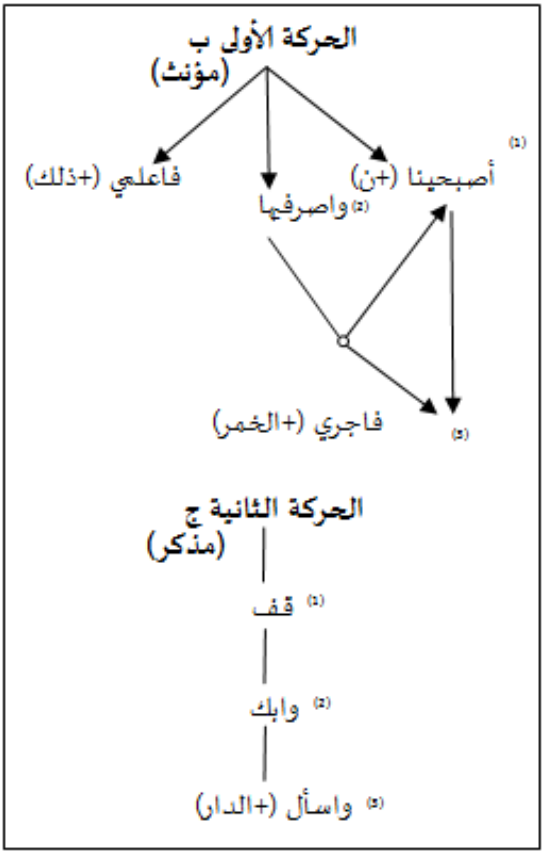

المخطط2

ينتقل أبوديب إلى وصف البنية الإيقاعية واكتشاف العلاقات التي تتشكل ضمنها، ثم ربطها بالبنية الدلالية للرؤيا الوجودية التي تجسدها القصيدة. لم تقتصر دراسته للإيقاع على الوزن وإنما استخدم مفهوم "النبر"، وهو يميز بين نوعين: النبر الشعري الذي مثله بالعلامة(×)، والنبر اللغوي ممثل بالعلامة (٨)، توضع العلامة فوق العنصر الذي يقع عليه النبر. ثم درس الباحث هذين النبرين محددا موقع كل منهما، ودرس عدد النبرات الموجودة في كل بيت، وفي مجموعة الأبيات التي تتألف من حركة الخمرة (ستة أبيات)

وحركة الأطلال (ثلاثة أبيات). كما درس التطابق بين النبر اللغوي والنبر الشعري، ثم قارن بين أبيات حركة الخمرة مع أبيات حركة الأطلال. والأمثلة الآتية توضح ذلك (12).

مواقع النبر الشعري واللغوي في البيت الأول من الحركة (ب)، والبيت الأول من الحركة (ج).

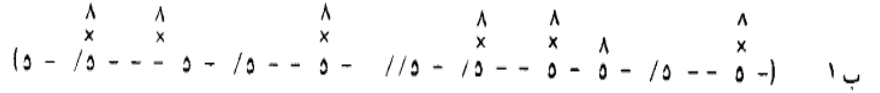

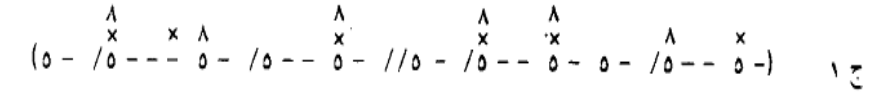

يستنتج كمال أبوديب أن زيادة عدد النبرات تجسد توترا وعنفاً داخليا في الحركة الثانية، وانسيابية وتناغم في الحركة الأولى. فهناك تطابق بين النبرين 13 مرة في الحركة الأولى، و9مرات في الحركة الثانية، أي أن ثمة افتراقاً وتوتراً في الحركة الثانية يشكلان نقيضين للتطابق والانسجام في الحركة الأولى(13).

صرح الكاتب في مقدمة الكتاب الثاني الذي عنوانه "الرؤى المقنعة: نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي" أن هذا البحث يتم في إطار الدراسات المعاصرة ويهدف إلى تطوير منهج لدراسة الشعر الجاهلي في ضوء التيارات التالية:

- التحليل البنيوي للأسطورة كما طوره كلود ليفي ستراوس (1908-2009) Claude Lévi-Strauss في كتابه "الأنثروبولوجيا البنيوية".

- التحليل التشكيلي للحكاية كما طوره فلاديمير بروب (1895-1970)Vladimir Propp في دراسته للتركيب التشكيلي "مورفولوجيا الحكاية" Morphologie du conte لحكاية الحوريات.

- مناهج تحليل الأدب المتشكلة في إطار معطيات التحليل اللغوي والدراسات اللسانية والسيميائية وبشكل خاص عمل رومان ياكوبسون(1896-1982) Jakobson Roman والبنيويين الفرنسيين.

- المنهج النابع من معطيات أساسية في الفكر الماركسي والذي أولى عناية خاصة لاكتناه العلاقة بين بنية العمل الأدبي وبين البنى الاجتماعية (الاقتصادية والسياسية والفكرية) ولعل لوسيان جولدمان Lucien Goldmann (1913-1970) أن يكون أبرز النقاد الذين أسهموا في تطوير هذا التناول.

- تحليل عملية التأليف الشفهي في الشعر السردي ودور الصيغة في آلية الخلق، كما طوره ملمان باري (1902-1935) Milman Parry وألبرت لورد(1912-1991) Albert Lord.

يؤكد كمال أبوديب عن وعيه وإحاطته وتمكنه بحيثيات هذه المناهج ونظرياتها، وبالإشكالات التي تثيرها، وعن إنجازات هذه المناهج في مجالات معرفية محددة، وما حققته من تطور منهجي واكتشاف لمكونات جوهرية في الشعر وللبنى التوليدية فيه، وللرؤى المتعارضة ضمنه، بما توفره هذه المناهج من تحليل متقص دقيق للنص الشعري باعتباره بالدرجة الأولى جسداً لغوياً وبنية دالة(14).

تناول في الفصل الأول تحليلا بنيويا لمعلقة لبيد بن ربيعة العامري والتي أشار إليها بالقصيدة المفتاح، والتي مطلعها: عَفَتِ الديارُ مَحلُها فمُقامُها ... بِمِنىً تأبَّدَ غَولُها فرِجلمها

صرح بأن اختياره لهذه القصيدة ينبع من حدس عميق بأن رؤياها الأساسية للوجود تحتل مكانا مركزياً في الشعر الجاهلي كله، وهي إحدى قصائد التراث تشابكاً وتعقيداً وغنى(15).

يهدف من وراء هذه الدراسة إلى وضع الخطوط العامة لمنهج نقدي جديد، يصفه بمنهج الطاقات الكامنة، والقدرة على إضاءة بنية القصيدة. ومن تحليله لِ 150 قصيدة جاهلية، يصرح كمال أبو ديب بأنه تمكن من صياغة نظرية حول بنية القصيدة الجاهلية مفادها أنه يمكن التمييز بين تيارين من التجارب الجذرية يشكلان ثنائية ضدية، وهما حسب رأيه:

التيار الأول

يدعوه أوديب بالتيار وحيد البعد، ويرمز له بالأحرف على الترتيب (ت،و،ب). يصفه بأنه تيار يتدفق من الذات في مسار لا يتغير، مجسدا انفجارا انفعاليا يكاد أن يكون لا زمانيا وخارجا عن السيطرة لا يكبح، ويتجسد هذا التيار على صعيد التجربة في سيطرة نبض واحد وحالة انفعالية مفردة تميز قصائد المدح والهجاء والرثاء. ويتجسد التيار وحيد البعد في نظر كمال أبوديب في إحدى البنيتين التاليتين، اصطلح عليهما بـ:

1-البنية وحيدة الشريحة، ورمز لها (ب، و، ش).

2-البنية متعددة الشرائح، ورمزها (ب، م، ش).

التيار الثاني

يراه كمال أبو ديب بأنه التيار الذي له مستوى من التجربة أكثر جذرية وعمق في دلالاته الوجودية من التيار الأول، ويصطلح عليه بالتيار متعدد الأبعاد، ويرمز له بالرمز (ت، م،أ).

يمثل هذا التيار حسب أبوديب نقطة التقاء ومصب لروافد متعددة، لتيارات تتفاعل وتتواشج بينها، ويكتمل التبلور النهائي لهذا النمو في سياق زمني ويجسد عملية خلق للفاعليات المعاكسة وتحقيق للتوازن بين الأضداد في الوعي(16).

يقر كمال أبو ديب بوجود تشابه يعبر عنه بالمثير بين بنية الأسطورة كما يحللها لفي شتراوس وبين التيار متعدد الأبعاد (ت، م، أ). واستناداً لهذا التشابه يحاول الإجابة في دراسته هذه على السؤالين التاليين من خلال تطبيق المنهج البنيوي على القصيدة المفتاح، قائلاً:

- هل يمكن على أساس هذا التشابه أن نتحدث عن البنية الأسطورية لتيار متعدد الأبعاد؟
- وما هي النتائج التي قد يقود إليها تطبيق منهج "لفي شتراوس" البنيوي في تحليل الأسطورة على تيار متعدد الأبعاد (ت. م. أ)؟(17).

قسم كمال أبوديب المعلقة إلى وحدات (حركات مشكلة) ورصد الثنائيات الضدية التي تعتبر مقومات أساسية في الشعر الجاهلي، واعتمد الدوائر والرسوم في دراسته للقصيدة. وحدد وحدة الأطلال بـ 11 بيتاً يميزها الغياب المطلق لأي تعبير مشحون انفعالياً يصدر عن ذات الشاعر، واعتمادها على السياق الزمني، وبنائها على ثنائية ضدية تختزلها ثنائية الموت/ الحياة.

جمع كمال أبوديب من خلال تحليله لوحدة الأطلال القيم الدلالية وحزم العلاقات المميزة لهذه الوحدة في المخطط الموالي الذي يمثل ثنائية (التغير- الحياة / التغير – الموت) ، هناك الثنائية الضدية المتمثلة في: الموت/الحياة أو التدمير والإخفاء/البناء وإعادة الخلق. فالتغير حسب أبوديب قوة موسمية تدمر لكنها في الوقت نفسه تخلق، فالحياة والموت متزامنان. وتعمل هذه الثنائية الضدية على أكثر من مستوى من بينها: الإنسان/الطبيعة، الإنسان/الحيوان، الذكر/الأنثى(18)...

مخطط (1)

التغيير	التغيير
القبيلة تهجر الديار (بحثاً عن الماء والكلأ)	الماء يجف
القبيلة تتجاوز الموت وتبقى	السيول تجلو عن التربة
التربة يباركها المطر	التربة عارية
النبتات تنمو	لا نباتات
الحيوانات ترد الأطلال	لا حيوانات
الحيوانات تنتج وتتكاثر	لا إنسان
الحيوانات آمنة سالمة، تعيش في	الطبيعة ميتة موتاً أبدياً، ولا تجيب
تناغم وسلام مع أطفالها	الإنسان السائل
الزمن يتغير من حلال إلى حرام	الشاعر تهجره نوار
	غياب السعادة، لا أطفال، لا توالد، لا خلق للحياة
	الزمن يتغير من حرام إلى حلال
الحياة	الموت

يرى كمال أبو ديب أن القصيدة تنمو وتتقدم عبر الثنائيات الضدية واللفظية التي تنتشر في نسيجها، وهي متوفرة بكثرة في القصيدة، وأحصى منها الباحث 27 ثنائية والتي نذكر منها على سبيل المثال:

- محلها فمقامها (1) - حلالها وحرامها (3) -جودها فرهامها(4)
-عصيانها ووحامها (16) -كهلها وغلامها (83)

مثل كمال أبو ديب حركات القصيدة ومكوناتها في دوائر منها: دائرة الشاعر، دائرة (نوار)، دائرة (القبيلة)، دائرة (الأنيس)، دائرة (الأم)، دائرة (الأزواج)، دائرة (العين)، دائرة (البقرة الوحشية)، وغيرها من الدوائر الأخرى. فهذا التمثيل بالدوائر في رأي أبوديب قادر على إضاءة العلاقات البنيوية بين الذوات. قسم الدائرة إلى ثلاث شرائح أو حيزات، جعل الأولى منها إيجابية تحتوي على كل الخصائص الإيجابية، التي تمتلكها ذات معينة، من حيث دورها في سياق الثنائية الضدية الحياة/الموت بكل تحولاتها. والشريحة الثانية وهي الشريحة الوسطى فهي محايدة، تحتوي على الخصائص التي تمثل توسطاً بين الإيجابي والسلبي. أما الشريحة الثالثة، فهي شريحة سلبية تحتوي على الخصائص ذات الطبيعة المناقضة.

ويخلص الباحث إلى نتيجة مفادها أن الدوائر تكشف عن ملمح بنيوي أساسي من ملامح القصيدة، يتمثل في الغياب الكلي للذوات من الشريحة المحايدة، والندرة النسبية للذوات الإيجابية أو السلبية. ويظهر ذلك من خلال المخطط الآتي الذي يمثل دائرة (نوار)(19)، والذي هو مقسم إلى ثلاث شرائح، أصغرها حيزاً الشريحة الثانية.

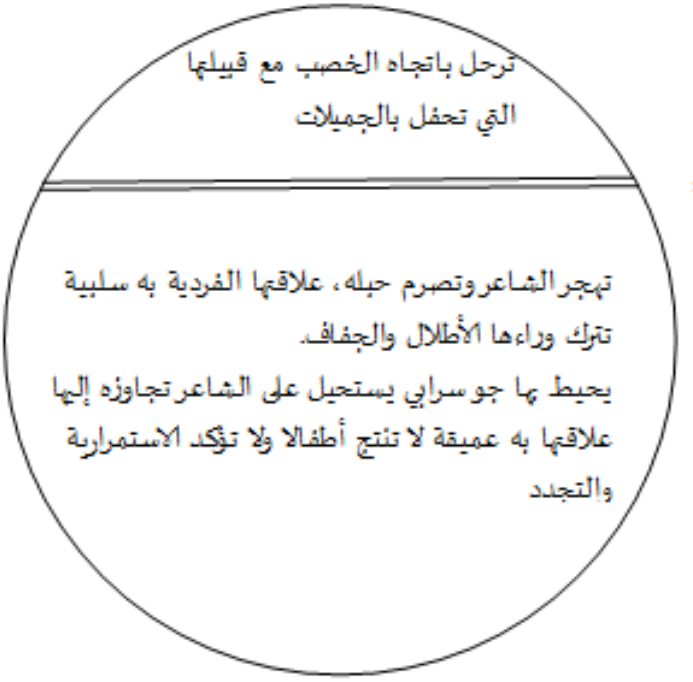

خلاصة القول أن دراسة الباحث كمال أبو ديب للشعر الجاهلي بهذه الرؤية الجديدة تعد إنجازا حقيقيا في سبيل التحليل العلمي المثمر، وهي محاولة تطبيقية بنيوية متكاملة تضرب في جذور الشعر العربي(20). تخطى بهذه الدراسة حدود التعامل التقليدي مع القصيدة الجاهلية، هذا التعامل الذي طغى على الدراسات العربية القديمة ودراسات المستشرقين للشعر الجاهلي، وقد حلل في كتابيه مجموعة من القصائد متبنياً التحليل البنيوي للأسطورة للفي شتراوس ونظرية بروب حول الحكاية وغيرها من النظريات الحديثة. واستعمل عدة مصطلحات ووظف الثنائيات والرسومات والمخططات في دراسته البنيوية للقصائد.

الهوامش

01.صلاح فضل (1998). نظرية البنائية في النقد الأدبي. القاهرة: دار الشروق. ص 214.

02.المرجع نفسه. ص17.

03.المرجع نفسه. ص33.

04.المرجع نفسه. ص74.

05.محمد عزام (2003). تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية. دمشق. منشورات اتحاد الكتاب العرب. ص13.

06.ناطق خلوصي (2001). قراءات في المصطلح. بغداد. دار الشؤون الثقافية العامة. ص134.

07.سمير سعيد حجازي (2004). إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر. القاهرة. ذار طيبة للنشر والتوزيع. ص147.

08.كمال أبوديب (1984). جدلية الخفاء والتجلي. بيروت. دار العلم للملايين. ص ص7-16.

09. المرجع نفسه. ص171.

10.المرجع نفسه. ص ص168-178.

11.المرجع نفسه. ص ص178-179.

12.المرجع نفسه. ص ص181-190.

13.المرجع نفسه. 184.

14.كمال أبوديب (الرؤى المقنعة). القاهرة. الهيئة المصرية للكتاب. ص ص4-15.

15.المرجع نفسه. ص.47

16.المرجع نفسه. ص ص48-.50

17.المرجع نفسه. ص.51

18.المرجع نفسه. ص ص66-67.

19.المرجع نفسه. ص82-.84

20.صلاح فضل (1998). نظرية البنائية في النقد الأدبي. ص8.

قائمة المصادر والمراجع

01. سمير سعيد حجازي (2004). إشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر. القاهرة. دار طيبة للنشر والتوزيع.

02.صلاح فضل (1998). نظرية البنائية في النقد الأدبي. القاهرة: دار الشروق.

03. كمال أبوديب (1984). جدلية الخفاء والتجلي. بيروت. دار العلم للملايين.

04. كمال أبوديب(1987). الرؤى المقنعة. القاهرة. الهيئة المصرية للكتاب.

05.محمد عزام (2003). تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية. دمشق. منشورات اتحاد الكتاب العرب.

06. ناطق خلوصي (2001). قراءات في المصطلح. بغداد. دار الشؤون الثقافية العامة.